تخطيط وعمارة المسجد الجامع في مدينة البصرة

- **مدينة البصرة :**

تعد البصرة أحد أمصار الدولة الإسلامية المهمة بكونها مدينة عظيمة لم تكن موجودة زمن الأعاجم بل اختطها المسلمون زمن عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ / ٦٣٤ – ٦٤٣م). مصرها القائد عتبة بن غزوان وذلك سنة (١٤ هـ / ٦٣٥ م). قبل تمصير مدينة الكوفة.

وهي مدينة مستطيلة تكون مساحتها فرسخين في فرسخ تضم اثنتي عشرة محلة ولكل واحدة عدة مدن منفصلة عن بعضها. أنهارها كثيرة عظيمة ومشهورة ففي الجانب الغربي من نهر دجلة تسعة أنهار والجانب الشرقي من نهر دجلة ثلاثة أنهار.

جاء بمعنى البصرة انها الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب وذكر أنها الحجارة الرخوة التي فيها بياض وحصى وحجارة سود فقيل إنها بصرة. فهي الطين العلك إذا كان فيه جص. لذا سموها بصرة الرخاوة أرضها. وذكر أنها الأرض الطيبة الحمراء. أشار ياقوت الحموي ان المسلمين حينما جاءوا البصرة للنزول بها نظروا اليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها، فقالوا: ان هذه أرض سعيدة بمعنى حصبة فسميت بذلك. ربما هي الأرض التي جمعت بين الغلظة بسبب وجود الحصى والحجارة وبين الرخاوة نظراً لوجود مادة الجص التي تكون بيضاء وهشة.

- **جامع البصرة :**

بني المسجد الجامع في مدينة البصرة عام (١٤ هـ) على يد الوالي عتبة بن غزوان ، وبعد أول مسجد بني خارج حدود الجزيرة العربية أنه التجربة الأولى في بناء المساجد في العصر الإسلامي خارج الجزيرة، أن وضع المسجد وبيت المال ودار الإمارة في وسط المدينة، وجعلوا الطرق والمناهج والشوارع جميعها تؤدي له .

وتشير المصادر التاريخية إلى أكثر من شخص فقاموا ببنائه، أن تذكر أن القائد علبة بن غزوان هو من بناء بيده، في حين يذكر بعضها أن محجر بن الأذرع البهزي هو من بناء، وكما ذكرت المصادر بأن نافع بن الحارث بن كندة هو من بناء ، كما تذكر المصادر بأن الشخص الذي بناه هو الأسود بن سريع، أن اختلاف الرواة في ذكر اسم الشخص الذي قام ببنائه هو تعبيراً عن أهميته وعن مكانة الشخص الذي بناء .

كان بناء المسجد في البداية بالقصب مثل بقية أبنية المدينة، وحسب المعلومات المتوفرة لدينا بأن المسجد في هذه المرحلة كان خاليا من أي بناء وهو عبارة عن ساحة مكشوفة ربما كانت مسورة بسياج من القصب، ويظهر أن الحريق الذي اجتاح المدينة قد النهم المسجد.

وفي عام (١٧ هـ) كتب والي البصرة أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يستأذنه بأعادة بناء المسجد ، فأعاد بنائه باللين والطين بدل القصب كمادة بنائية أن قام أبو موسى الأشعري بتوسيع المسجد وطلاء الجدران وأتخذ له سقفاً ، وكل ما تعرفه عنه أن أبو موسى جعله مربع الشكل .

ولم يبقى مسجد البصرة على حالته الأولى بل وسع وجدد وأعيد بنائه أكثر من مرة ، وأهم ما حدث فيه هو ما أمر به والي البصرة زياد ابن ابيه ، أن هدمه ووسعه وأعاد بنائه بالجر والجص وأقامة له سقوفاً من الخشب الساج على أعمدة حجرية طوال تتألف من عدة قطع أسطوانية يضمها إلى بعضها سفود من الحديد يمر بمركزها ، كما أتخذ زياداً للجامع مأذنة ومقصورة، وتعد تلك المأذنة أول مأذنة في العمارة العربية الإسلامية قاطبة ، وكذلك أمر أن تكون دار الإمارة ملاصقة للمسجد من جهة دار القبلة وجعل بينهما باب (مدخل) يؤدي إلى بيت الصلاة .

وبعد سنة (٥٥هـ) حدث تعديل بسيط على عمارة المسجد عندما أمر الوالي عبد الله بن زياد بهدم جزء من دار كانت ملاصقة للمسجد من جهة جداره الشمالي ومعترضة الاستقامة الجدار حسبما تذكر المصادر التاريخية والأثرية .

وبعد أن توسعت البصرة وزاد عدد سكانها في العصر العباسي ضاق المسجد بالمصلين فأمر الخليفة المهدي بتوسيعه وكان ذلك (١٦١هـ - ٧٧٨م) وأدخلت عليه عدة دور ملاصقة ومجاورة له في هذه الزيادة، ويظهر أن ذلك لم يحل مشكلة استيعابه للأعداد المتزايدة من المصلين، فقد وسع بأمر من الخليفة هارون الرشيد وأمتدت الزيادة إلى دار الامارة التي أدخلت فيه ، وصار الجامع من أوسع الجوامع وأبهاها وصار له ا مدخلا ، وجاء به أيضاً أن عدد مرابط الخيول على جدرانه الخارجية بلغ (١٤) الف مربط ، ويظهر أن بناء هذا المسجد أصابه التلف والخراب مما دفع الخليفة العباسي المستنصر بالله والذي عرف بحبه للعمارة والبناء إلى تجديده وأعادة بناءه سنة (٦٢٤هـ . ١٢٢١م) ، حيث أعاد تسقيفه بالساج واستعملت مدورات أساطينه القديمة مرة أخرى، ألا أن ما تبقى من عمارة الخليفة المستنصر بالله العباسي هو جزء من الركن الشمالي الغربي متوج ببقايا مقرنصات يظهر أنها كانت تسند قاعدة حوض المأذنة وقد حليت بواطن حنايا المقرنصات بحشوات دقيقة ذات زخارف نباتية مفرغة

تنقيبات المسجد :

ظلت معلومتنا عن المسجد محدودة إلى أن قامت بعثة تنقيبيه من مديرية الآثار العامة برئاسة الدكتور عبد العزيز حميد سنة ١٩٦٠م بالتحري والتنقيب في المسجد. وأظهرت هذه البعثة بأن المسجد مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب (١٢,٢٠ متر) وعرضه من الشرق إلى الغرب (٨,٥٠ متر) ، وتبين أن بيت الصلاة فيه تتألف من خمسة أساكيب ناتجة من خمسة صفوف من الاعمدة الاسطوانية قائمة على قواعد مربعة الشكل طول ضلع كل منهما (١،١٠ متر) ، وتتكون كل من المجنبتين والمؤخرة من أسكوبين فقط يتكونان من صفين من الاعمدة الأسطوانية المسافة بين عمود وأخر (٣ متر) ، تم الكشف قاعدتي مأذنتين أحداهما في الركن الشمالي الغربي والأخرى في الركن الشمالي الشرقي، وبعد هذا الاكتشاف من أهم الاكتشافات في تاريخ التنقيبات الأثرية التي أجريت في المواقع العربية الإسلامية في العراق ، فلأول مرة تحصل على عمارة أول مسجد بني في العهد الإسلامي من خارج حدود الجزيرة العربية.

كما أظهرت التنقيبات بقايا أسس الجدار الشرقي والصحن الوسطى للجامع القديم في مدينة البصرة وهو متعرض للكثير من التخريب والاضافات التي ترجع إلى عصور متأخرة ، كما تم العثور في الصحن على أحد أسس الأعمدة في بيت الصلاة للجامع القديم.

وتم أظهار قسم من الاجزاء السفلية لبعض الجدران المزين بفجوات (كوى) تنتهي بشكل نصف عمود والتي شكلت في الأعلى أقواس مدببة ، كما تم أظهار جزء من الجدار الشرقي طوله (٢٥ متر) وعرضه (٢ متر)، وقدرت البعثة أجزاءه المتساقطة والمتهدمة حوالي من (٨-١٠ متر)، كما وجدت بعض الاجزاء المزينة بزخارف نباتية وهندسية منفذة على قطع من الأجر في الاجزاء العليا في المأذنة وبوابتها ، وكذلك شريط كتابي بالخط الكوفي ، كما تم العثور على ثلاث قطع الجرية منقوشة بكتابات كوفية ويحتمل أنها تساقطت من المأذنة.

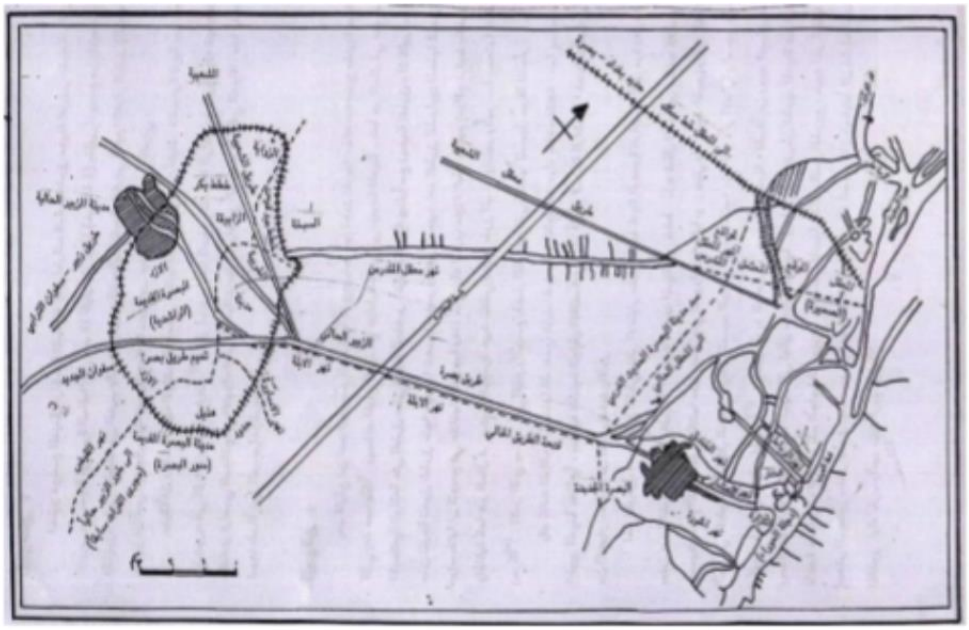

خارطة تبين البصرة القديمة والبصرة الحديثة

Fig. 8.3. Compound wall with semi-circular buttress towers excavated during the 1970s (April 2017).

أحدى جدران مسجد البصرة

Fig. 8.2. Sandstone column drums from the 1970s excavations within the Congregational Mosque (April 2017).

بعض القواعد الخاصة بأعمدة المسجد الجامع

الملحق رقم (3) التخطيط الأول لمسجد البصرة .

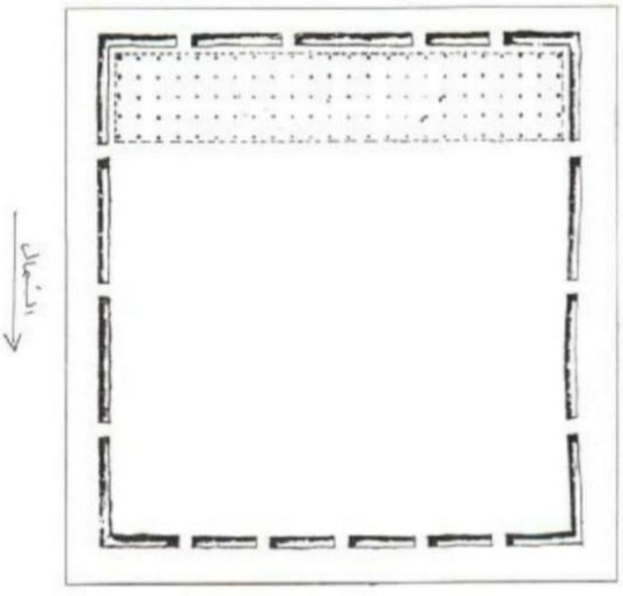

عبده , عبد الله كامل موسى : المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين , ص256.